

# السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي

## الدولة الأموية أنموذجا

عبد اللطيف الحناشي  
باحث تونسي



قسم الدراسات الدينية

## تقديم:

إن الإسلام دين سماوي توحيدي يستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ وهما المصدران الأساسيان للتشريع عند المسلمين، وللاسترشاد بهما لفهم دينهم، وتوجد إلى جانب ذلك التجربة التاريخية للمسلمين في ظل الحكم السياسي الذي يستمد شرعيته من الإسلام.

وعلى الرغم من اتفاق كل المسلمين على اعتبار القرآن الكريم مصدرًا أساسيًا غير أن الحديث والسنة لا تتمتعان بالإجماع الكامل، أما التجربة التاريخية للمسلمين فعادة لا يُستند إليها أنموذجًا إلا في حالات نادرة جدًا، ومن جانبها الإيجابي بالتوازي مع اعتبار "نظام الحكم الإسلامي" كما جاء به القرآن الكريم وحسب التجارب التاريخية<sup>(1)</sup> نظامًا تتوفر فيه كل أسس المواطنة والمساواة والعدل والحرية، دون بذل جهد لإبراز وشرح تنافر النص الأيديولوجي مع الواقع المعيش أو التجربة التاريخية بما هي تجربة إنسانية تتحكم فيها عدة عوامل وتوجهها عدة مصالح واعتبارات.

وقد أنجز عدد من المفكرين والباحثين العرب دراسات قيمة حول حركات الاحتجاج الاجتماعي والسياسي والفكري والجوانب الإيجابية النيرة للحضارة العربية الإسلامية،<sup>(2)</sup> غير أنه وبالرغم من الأهمية المؤكدة لكل تلك الإنجازات العلمية والمعرفية فإن البحث في قضايا تتعلق بالسلوك السياسي للحكام المسلمين وردود فعل قوى اجتماعية تجاه ذلك السلوك كان محدودًا، والحال أن "مقام الخلافة الإسلامية كان منذ الخليفة الأول أبو بكر، رضي الله تعالى عنه، وإلى يومنا هذا عرضة للخارجين عليه، المنكرين له..."، بل يكاد التاريخ الإسلامي لا "يعرف خليفة إلا عليه خارج، ولا جيلًا من الأجيال مضى دون أن يشاهد مصرعًا من مصارع الخلفاء"<sup>(3)</sup> وفي مواجهة تلك المعارضة لم يكن للسلطة من خيار لفض الخلاف مع معارضيهما إلا استخدام العنف المفرط، فلم "يكن للخليفة ما يحوط مقامه إلا الرماح والسيوف والجيش المدجج والبأس الشديد"<sup>(4)</sup>.

وبغض النظر عن كل ذلك سنحاول البحث في ظاهرة العنف السياسي كما تجلت في التجربة السياسية للخلافة الإسلامية، انطلاقًا من ممارسة الدولة الأموية (41 هـ - 132 هـ / 661 - 750 ميلادي) فبقيامها اتخذت الدولة، التي استندت إلى الدين الإسلامي، وضعها الطبيعي، وباعتبار أن ما تم في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، هو من "خوارق العادة" ومن بعده "انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة وتراجع الحكم بعض الشيء

<sup>1</sup> - يتم التركيز خاصة على فترة صدر الإسلام بالإضافة لسلوكيات بعض الخلفاء كعمر ابن عبد العزيز.

<sup>2</sup> - برزت عدة دراسات وبحوث منذ أواسط السبعينيات اهتمت بالتراث العربي الإسلامي، وحاولت إبراز الجوانب الإنسانية و"التقدمية" في موازاة بداية صعود الإسلام السياسي بمختلف توجهاته ومدارسه.

<sup>3</sup> - عبد الرازق (علي): الإسلام وأصول الحكم، دراسة ووثائق بقلم محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1972، ط 1، ص 127

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 129

للعوائد<sup>(5)</sup>، بمعنى أن مشروع الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يكن من أهدافه بناء الدولة بقدر ما كان يسعى لبناء أمة دعوة<sup>(6)</sup>، ومن بعده بدا التحول النوعي في طبيعة السلطة وأهدافها إذ انتقلت من مرحلة الحرية بتطابق النصّ مع الواقع في إطار المشروع الحضاري المتكامل إلى مرحلة الضرورة تمشياً مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها الفتوحات الإسلامية.

## في مفهوم العنف والعنف السياسي:

### 1. مفهوم العنف:

العنف هو ممارسة الإيذاء بالآخر ومعاملته بالقسوة والشدة، وهو مفهوم مركب متعدد الصور والأبعاد والمستويات، يتضمّن دلالات اجتماعية وسياسية واقتصادية. ويمكن التمييز بين العنف اللفظي الذي يتضمن عدة ممارسات شفهية مثل اللوم والتوبيخ والتفريغ والتعيير والتبخيس والسب والشتم والتجريح بالكلام أو الإهمال والتهميش والإيذاء النفسي والعاطفي، والعنف المادي الذي يتدرج من الحالات البسيطة والخفيفة مثل الدفع والضرب والركل إلى الحالات القصوى مثل الضرب المبرح الذي ينتج عنه الإغماء إلى السحل والقتل بطرق شتى.

### 2. العنف السياسي:<sup>(7)</sup>

ثمة شبه اتفاق بين أغلب الدارسين لظاهرة العنف السياسي على أن العنف يصبح سياسياً عندما تكون أهدافه أو دوافعه سياسية، وذلك رغم اختلافهم في تحديد طبيعة هذه الأهداف ونوعيتها، وطبيعة القوى التي تستخدم العنف. ولتحديد العنف إجرائياً يتطلب الأمر التفرقة بين العنف الشرعي والعنف غير الشرعي:

- **العنف الرسمي أو الشرعي:** وهو الذي تستخدمه الدولة تجاه المعارضين لسياستها وتوجهاتها من الداخل أو من الخارج.

- **العنف غير الرسمي:** وهو الذي تستخدمه التنظيمات السياسية أو الاجتماعية تجاه النظام ومختلف مؤسساته وأفراده، وقد يصبح هذا العنف شرعياً إذا توفرت المبررات لذلك<sup>(8)</sup>.

<sup>5</sup> ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، دار العودة بيروت، ص 171

<sup>6</sup> السيد (رضوان): "جدليات العقل والنقل والتجربة التاريخية للأمة في الفكر السياسي العربي الإسلامي"، الفكر العربي المعاصر عدد 15، ص ص 79-81

<sup>7</sup> حول مفهوم العنف عامة والعنف السياسي تحديداً انظر:

- Pagès Max, *La violence politique*, Toulouse, ERES « Sociologie clinique », 2003, 232 pages.

- يدهندريش: **العنف السياسي: فلسفته، أصوله، أبعاده**، ترجمة عيسى طنوس وآخرون، بيروت 1986

<sup>8</sup> تاريخياً هو العنف الذي مارسه الحركات الوطنية في المستعمرات... أما في البلدان المستقلة فتثير ممارسة العنف من قبل المعارضة عدة إشكاليات في الوقت الحالي وحتى زمن الحرب الباردة

وتختلف أشكال العنف وممارسته وتتغير من سلطة إلى أخرى تبعاً للظرفية التاريخية ولطبيعة السلطة في حد ذاتها والأسس الأيديولوجية التي تستند عليها، ومنها الأنظمة التي قامت على خلفية أو أساس ديني أو على شرعية دينية، فكما يمكن أن يستخدم الدين أداة سيطرة وإخضاع ومصالحة مع الواقع يمكن أيضاً أن يتحول إلى أداة تحريض وتمرد.

وقد تكون ممارسة العنف في ظل الدولة التي تتدثر بالدين أكثر كثافة وأشد ضراوة من الدول الأخرى التي لا تستند إلى مرجعية دينية، إذ من السهل على الأولى أن تجد المبررات الدينية الكافية لممارسة فعلها ذلك من خلال استخدام النصوص الدينية وتوظيفها لممارسة عنفها وإحكام سيطرتها.<sup>(9)</sup>

وتشير بعض الدراسات إلى أن دولة الخلافة الإسلامية تأسست على "مبدأ الغلبة والقهر وأن عروشها قد لم يرتفع إلا على "رؤوس البشر ولم (لا) يستقر إلا فوق أعناقهم.." <sup>(10)</sup> ولكن مهما بلغ حجم قهرها واستبدادها أو تقلص، إنما كانت تستند على الدين، وتستمد منه شرعيتها وادعاءها تطبيق الشريعة بهدف ضمان استمرارها والحفاظ على أمنها ووجودها.<sup>(11)</sup>

## بؤادر العنف السياسي في صدر الإسلام<sup>(12)</sup>

### 1. العنف أداة للقضاء على المعارضة وترسيخ الولاء:

يبدو أن اقتران الدين بالسياسة في تاريخ الإسلام كان أحد العوامل التي ساعدت على اختلاف المسلمين كما تمت إدارة تلك الاختلافات، في الغالب الأعم، عن طريق القوة والعنف والقهر، يقول الشهرستاني في هذا الصدد إن "أعظم خلاف بين الأمة خلافة الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سلّ على الإمامة في كل زمان.." <sup>(13)</sup> وتشير المصادر التاريخية إلى أن العنف السياسي قد مورس مباشرة بعد موت الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذ اقترنت مبايعة الصحابي أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، (50 ق.هـ - 13 هـ / 573 م - 634 م) بالعنف، ومن ذلك أن مرشح الأنصار وزعيمهم ومنافس أبي بكر قد تعرض للركل من قبل مجموعة مساندة لأبي بكر يقودها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وعندما نبهه بعض الناس لذلك قال عمر

<sup>9</sup> - وهذا عنصر مشترك بين كل الدول التي استندت على خلفية دينية مسيحية أو إسلامية في كامل الحقب التاريخية إلى اللحظة الراهنة

<sup>10</sup> - عبد الرازق (علي): الإسلام وأصول الحكم.. مرجع سبق ذكره، ص 12

<sup>11</sup> - العروبي (عبد الله): مفهوم الدولة، ط 2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - المغرب 1983، ص ص 115-116..

<sup>12</sup> - سنستبعد من هذا البحث الحديث عن العنف الذي مارسه المعارضة. ففي سياق احتكارها للعنف تولد أو تنتج الدولة معارضة لنظامها يمارس بدوره عنفاً لا يقل بشاعة عن عنف السلطة.

<sup>13</sup> - الشهرستاني (محمد عبد الكريم): الملل والنحل، المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها، ج 2، ص 20

"اقتلوه، قتله الله، ثم قام على رأسه، فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك<sup>(14)</sup>. كما هدد عمر بن الخطاب كل من عارض أو تردد في مبايعة أبي بكر، من ذلك أنه هدد بحرق بيت علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، (23 ق.هـ/ 599م - 40 هـ/ 661م) ومن فيه: زوجته فاطمة بنت الرسول، صلى الله عليه وسلم، وطلحة والزبير ورجال من المهاجرين "فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقبل له إن فيها فاطمة، فقال وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً<sup>(15)</sup>."

## 2. العنف في مواجهة المرتدين عن الإسلام:

ارتد كثير من العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أمام أبي بكر، على ما يبدو، غير طريق واحدة لحل هذه المشكلة الطارئة، وهي ممارسة كل أشكال العنف الممكنة ضد هؤلاء "إني بعثت لكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلة وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام"<sup>(16)</sup>... قد تقف وراء هذا الخطاب المشحون بالعنف اعتبارات سياسية ودينية أملت الظروف الدقيقة التي مرت بها الرسالة، ولكن أين فعل أبي بكر هذا من أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، حول حرية المعتقد ومنها: "أن لا إكراه في الدين" و "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" و "كل نفس بما كسبت رهينة"، وبالإضافة إلى ذلك من الخطأ اعتبار كل من رفض إطاعة أبي بكر قد كفر بالله ورسوله، فهل كان الخليفة الأول ممثلاً للإسلام مع اعتبار أن عدداً كبيراً من العرب لم يبايعوه على خلفية سياسية اقتصادية، وليس دينية بالضرورة، من ذلك أنهم رفضوا دفع الزكاة لكن مع مواصلة أداء الصلوات، يقول أحد الشعراء تأكيداً لهذا المعنى:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا      فيا لعباد الله ما لأبي بكر  
 أيورثنا بكرًا إذا مات بعده      وتلك لعمر الله قاصمة الظهر<sup>(17)</sup>.

<sup>14</sup> - الطبري(ابن جرير): تاريخ الأمم والملوك، منشورات الاعلمي، بيروت، ج2، ص 456 وأيضاً:

- ابن قتيبة(ت276 هـ): الإمامة و السياسة، تحقيق طه الزيني، الناشر الحلبي القاهرة 1967 ج1 ص 18

<sup>15</sup> - المصدر نفسه، ص 19

<sup>16</sup> - حول حركة الردة وملابساتها وأهدافه وحول موقف الخليفة الأول وخلفياته انظر:

- الطبري(ابن جرير): تاريخ الأمم...مصدر سبق ذكره، ج2، ص 481

- سرور(محمد جمال الدين): الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، ط 5، دار الفكر العربي القاهرة 1975، ص 18

<sup>17</sup> - الطبري: تاريخ...مصدر سبق ذكره، ج2، ص 427 وهو الخطيل بن اوس اخو الحطين بن اوس وتشير مصادر أخرى بأنه الخطينة

ومن بين هؤلاء الذين "أذنوا و أقاموا وصلّوا ولم يدفعوا الزكاة كما وصفهم الطبري جماعة مالك بن نويرة، من أعلام القرن الأوّل الهجري، الذي لم يتوان خالد بن الوليد، المتوفى سنة 21 هـ / 642م صحابي وقائد عسكري مسلم، لقبه الرسول الكريم بسيف الله المسلول، في ضرب أعناقهم بل إن " أهل العسكر أثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإن القدر نضجت وما نضح رأسه من كثرة شعره<sup>(18)</sup> .

ورغم أن عمر بن الخطاب<sup>(19)</sup> قد أقر وشهد بإسلام مالك، لم يتردد خالد بن الوليد في قتله ثم زنا بامرأته<sup>(20)</sup> . كما أنكر عمر بن الخطاب ذاته على أبي بكر قتاله للمرتدين إذ توجه إليه قائلاً "كيف تقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"<sup>(21)</sup> .

ورغم أن الإسلام قد نهى عن حرق الجسد البشري غير أن أبو بكر أمر بإعدام "إياس بن النجادة" و"شجاع بن الوراق" حرقاً، وكان الأول قاطع طريق خدع الخليفة وأخذ منه سلاحاً وهرب فأسر وأحرق حياً. وأما الثاني فكان مأبوتاً... ويظهر أن أبا بكر قد ندم على ذلك إذ صرح وهو على فراش الموت قائلاً " وددت أني لم أكتشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا غلقوه على الحرب، وودت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنني قتلته سريعاً أو خليته نجياً .."<sup>(22)</sup> . كما مارس عمر بن الخطاب العنف الشديد ضد معارضييه بعد وصوله إلى السلطة. وفي سياق الدفاع عن نفسه يقارن عثمان بن عفان عهده بعهد عمر، فيقول في هذا المضمار "والله عبت عليّ بما أقررت لابن الخطاب بمثله، ولكن وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم"<sup>(23)</sup> وتبدو هذه الصورة التي رسمها عثمان، رضي الله عنه، عكس الصورة التي يتداولها المسلمون عن عمر، ويبدو أن هذا الأخير، كغيره من الخلفاء، قد التزم مبدأ العنف حتى وهو طريح الفراش يحتضر، إذ أوصى صهيباً، بعد أن اختار الصحابة الستة لتعيين واحد منهم للخلافة، قائلاً "إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرفضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكّموا عبد الله بن عمر، فأبي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا

<sup>18</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص 502-503

- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ج6، ص14

<sup>19</sup> - ت سنة 23 هـ، ملقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيراً ونفوذاً اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل.

<sup>20</sup> - الطبري: تاريخ...مصدر سبق ذكره، ج2، ص 504

<sup>21</sup> - البخاري، ج2، ص 105، أورده عبد الرازق(علي): الإسلام وأصول الحكم..، مرجع سبق ذكره.

<sup>22</sup> - الطبري، تاريخ...مصدر سبق ذكره، ج2، ص619، أيضا ابن قتيبة: الإمامة، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 24

<sup>23</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص 377 أيضا ابن قتيبة: الإمامة، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 31-32

الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.."<sup>(24)</sup>. وما أوصى به عمر قد حدث، ويظهر أن وصيته أرهبت الحاضرين والغائبين وقلصت من حرية اختيارهم للخليفة الكفاء. وبعد اغتيال عمر تم اختيار عثمان بن عفان، رضي الله عنه، الذي أنكر عليه الناس سياسته العنيفة، ومن ذلك "مجاوزته الخيزران إلى السوط..." فهو أول من ضرب بالسياط ظهور المسلمين<sup>(25)</sup> فقام الصحابي عمار بن ياسر<sup>(26)</sup> بنقل احتجاج الناس إلى عثمان مكتوباً وكان مروان بن الحكم حاضرًا فاقترح على عثمان قتله لقتل دابر المعارضين، غير أن عثمان أمر بضربه "فضربه، وضربه عثمان بنفسه معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه"<sup>(27)</sup>.

وإن كان عمر قد قُتل غدراً فإن عثمان بن عفان، رضي الله عنه،<sup>(28)</sup> تعرض للتعذيب والتنكيل والتمثيل بجسده أيضاً، وكان أول من مارس ذلك عليه هو محمد بن أبي بكر الصديق الذي "دخل عليه وصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال: يا نعثل<sup>(29)</sup> ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن سرح، فقال عثمان: لو رأني أبوك رضي الله عنه لبكاني، ولساءه مكانك مني، فتراخت يده عنه، وقام عنه، وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفاً فوضعه في حجره ليتحرّم به، ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص<sup>(30)</sup> فوجأ به منكبه... فأدماه عليه ونضح بالدم على المصحف، وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشي عليه... ثم دخل آخر ومعه سيف... فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت نائلة زوجته بالسيف فخر أصابعها ومضى السيف في بطن عثمان<sup>(31)</sup>. وبقتل الخليفة الثالث وبهذه الطريقة البشعة التي تمثل ذروة العنف والتمثيل بالضحية رغم موقعه السياسي والديني يدخل المجتمع الإسلامي إلى ما يعرف تاريخياً بالفتننة الكبرى التي أدت إلى صراع سياسي عنيف أدى إلى مقتل علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه،<sup>(32)</sup> بطريقة بشعة أيضاً، بالإضافة إلى آلاف المسلمين لأسباب دينية؛ عقائدية ومذهبية، وسياسية واقتصادية؛ كاقتراس الثروة. الأمر الذي أدى إلى انقسام المجتمع سياسياً ومذهبياً وثقافياً، وافتتاح موجة أخرى من العنف السياسي المنفلت.

24- المصدر نفسه، ج2، ص 294 أيضا ابن قتيبة: المصدر سبق ذكره، ج1، ص 29

25- ابن قتيبة: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 35

26- قال فيه الرسول "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار بن ياسر"

27- ابن قتيبة: الإمامة، المصدر سبق ذكره، ج1، ص 35

28- كان عثمان بن عفان أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أجمع على اختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة سنة (23 هـ)، فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين استمرت خلافته نحو اثني عشر عاما وتوفي سنة 35 هـ

29- النعتل: الذُكر من الضَّبَاع . و النَّعْتَلُ الشَّيْخُ الأحمق

30- المشقص: سَهْمٌ ذو نصلٍ عريضٍ . والجمع : مشاقص .

31- ابن قتيبة: الإمامة، المصدر سبق ذكره، ج1، ص ص 44-45

32- علي بن أبي طالب: 23 ق.هـ - 40 هـ / 600 - 660 م رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي وصوره. وقد ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة (35هـ) فقام بعض أكابر الصحابة بطلبون القبض على قتلة عثمان فتريث ولم يتعجل في الأمر فغضبت عائشة ومعها جمع كبير في مقدمتهم طلحة والزبير فقاتلت علياً في وقعة الجمل سنة (36هـ) وظفر علي فيها ثم كانت وقعة صفين سنة (37هـ) وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة واختلف في مكان قبره فقيل بالنجف وقيل بالكوفة .

انتقم عبد الله بن جعفر الصادق من قاتل علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن ملجم المرادي، بأن قطع يديه ثم رجليه ثم أحمى مروداً في النار وسمل به عينيه ثم طلب منه أن يُخرج لسانه ليقطعه، ففزع ابن ملجم، فقال له عبد الله: لماذا فزعت الآن ولم تفزع عندما قطعنا يديك وأرجلك؟ فقال له ابن ملجم: أخشى إن قطعت لساني ألا أستطيع أن أسبح لله وأنا على قيد الحياة. قطع عبد الله لسانه عنوة، وعندما مات ابن ملجم حرق عبد الله جثته.<sup>(33)</sup>

## الدولة الأموية والعنف:

رغم الإنجازات العظيمة التي تحققت زمن الدولة الأموية على مستويات عدة غير أن حكم بني أمية لم يعرف الاستقرار لأسباب عديدة، لعل أهمها كثرة الصراعات السياسية ذات الخلفية القبلية والمذهبية، فتعددت الانتفاضات وحركات التمرد ضد السلطة، وانتشرت في أغلب مناطق تحكّم الأمويين وخاصة في أرض العراق، فشهدت بداية حكمهم اختلافات عميقة حول شرعيتهم،<sup>(34)</sup> فلم ينل معاوية بن أبي سفيان<sup>(35)</sup> الخلافة بإجماع المسلمين إذ بايعه أهل الشام عن طوع واختيار في حين انقسم مسلمو الأمصار الأخرى إلى فريقين:

ويمثل الفريق الأول أقلية بايعت إما عن رضئ وقناعة أو سعياً وراء منفعة وإقراراً لواقع لا قدرة لها على مواجهته ومقاومته، وكان أغلب هؤلاء من أهل الكوفة وكان الواحد منهم يردد "أبايعك واني لكاره لك"<sup>(36)</sup>. أما الفريق الثاني فيضم الأغلبية بمختلف آراءها ومذاهبها، ومن بينهم الخوارج والشيعة ورجالات القبائل الذين حرمتهم خلافة معاوية السيادة والخيرات، ومنها قبائل تميم وباهلة وبكر وغيرها التي كانت تقيم في العراق أو المدينة. وأمام تعدد قوى المعارضة تلك ولضرورة المرحلة الانتقالية ولتثبيت دعائم الحكم كان معاوية يحاور ويجادل دون حرج ودون تكبر وهو القائل: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت..."<sup>(37)</sup> ومن أجل تكريس هذا التوجه ولّى على الكوفة المغيرة بن شعبه (سنة 41 هـ) فأظهر لبناً كبيراً في معاملة الخوارج والشيعة. ويصف الطبري سياسة هذا الأخير مع أهل العراق فيقول: "فأحب العافية وأحسن في الناس السيرة ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، فكان يؤتى فيقال له إن فلاناً يرى رأي الشيعة وإن فلاناً يرى رأي الخوارج، فكان يرد عليهم قائلاً: "قضى الله ألا تزالون مختلفين وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا يختلفون فيه".

<sup>33</sup> - ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ - 1988م، ج8، ص 14

<sup>34</sup> - سرور (جمال الدين): الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية. خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي. القاهرة. ط 5. سنة 1975

<sup>35</sup> - مؤسس الدولة الأموية توفي عن سن تناهز 78 سنة (60 هـ)

<sup>36</sup> - اليعقوبي (أحمد): تاريخ اليعقوبي. دار صادر بيروت 1960، ج2، ص 216

<sup>37</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص 238



واعتمدت الدولة الأموية لبسط سلطانها على المسلمين عامة والعرب خاصة على ثلاث وسائل هي: المال والعنف والتضليل الإيديولوجي. وكان هذا الأخير من أكثر الوسائل التي اعتمد عليها معاوية لكسب ودّ الناس، وتشير بعض المصادر إلى أن " أكثر الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة قد افتعلت في أيام بني أمية تقريباً بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم"<sup>(38)</sup>. من ذلك أن معاوية بذل للصحابي سمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم على أن يروي أن الآية 204 و 205 من سورة البقرة<sup>(39)</sup> قد نزلت في علي بن أبي طالب، كما استخدم معاوية المحدثين والرواة لتمجيد بني أمية، خاصة عثمان، من ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن الله ائتمن على وحيه ثلاثاً أنا وجبريل ومعاوية"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم، ناول معاوية سهماً فقال له: " خذ هذا حتى تلقاني في الجنة"<sup>(40)</sup>.

ومع استمرار المعارضة وتمدها اجتماعياً وجغرافياً بالتوازي مع تطور صيغ وأشكال مواجهتها للسلطة الأموية انتقل معاوية الى توسيع رقعة العنف، فحاول اجتثاث كل ما يتصل بعلي بن ابي طالب، من ذلك أنه أمر عماله بشتم علي وذمه ومنع الناس على تسمية أبنائهم باسمه، وبلغ الخوف بالناس حدّاً جعل الرجل يفضل أن يقال عنه أنه كافر ولا يقال عنه من شيعة علي، وكانوا يخافون من نطق اسمه حتى في ما يتعلق بأحكام الدين، فكانوا يقولون: " روى أبو زينب أو أبو تراب أو قال الشيخ"<sup>(41)</sup> وإمعاناً في تكريس تلك السياسة وتعميمها عين معاوية زياد ابن أبيه والياً على البصرة سنة 45 هـ، وضم إليه سجستان والهند والبحرين وعمان، ولما مات المغيرة سنة 53 هـ ضم إليه الكوفة وأطلق معاوية يد زياد على جميع تلك الربوع التي تنتشر فيها قوى المعارضة الشيعية والخوارج ومن غيرهم.<sup>(42)</sup> وعند حلول زياد إلى البصرة خطب خطبة بتراء تنضح تهديداً وعنفاً، ومما جاء فيها "أقسم بالله لأخذن الولي بالولي والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدير والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيداً"<sup>(43)</sup>. ويذكر أن ابنه عبيد الله كان لا يدع بالبصرة أحداً ممن ينهم برأي الخوارج إلا قتله حتى قتل بالتهمة والظنة تسعمئة رجل<sup>(44)</sup>، وفي سبيل ضبط الأمن وملاحقة المعارضين من سكان البصرة وضع زياد نحو أربعمئة شرطي، ومما يذكره الطبري أن قائد شرطة البصرة الصحابي سمرة بن جندب، قبل تعيينه نائباً له على البصرة، قد قتل حوالي ثمانية آلاف شخص من الكوفة وحدها،<sup>(45)</sup> وعلى هذا النهج الذي خطه معاوية سار جميع خلفاء بني أمية باستثناء الخليفة عمر بن عبد

38- ابن أبي الجديد المدائني: شرح نهج البلاغة تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1965. نقلا عن الشمس الدين(مهدي): ثورة الحسين، ط 5 دار التعارف للمطبوعات بيروت 1978، ص 109

39- "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى في الأرض ليفسد ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد"

40- شمس الدين(مهدي): ثورة الحسين...مرجع سبق ذكره، ص 112

41- الطبري، تاريخ...مصدر سبق ذكره، ج4، ص 198

42- المصدر نفسه، ج4، ص 134.....

43- المصدر نفسه، ج4، ص 166.....

44- الدينوري: الأخبار الطوال طبعة عبد المنعم القاهرة 1960، ص 270

45- المصدر نفسه، ج4، ص 176

العزیز، فكان الاستبداد والعنف ميزتان ملازمتان للحکم الأموي، فهذا الوليد بن يزيد (ت 126هـ) أحد خلفاء بني أمية المتأخرين یصف الحکم الأموي قائلاً:

فدع عنك اذكارك آل سعدي      فنحن الأكثرون حمى ومالا  
ونحن المالكون الناس قسراً      نسومهم المذلة والنكالا  
ونوردهم حياض الخسف ذلاً      وما نالوهم إلا خبالا

### 1. الجسد والعنف:

یتخذ العنف أشكالاً مختلفة، وأحد أشكاله هو التعذيب الذي یعتبره ميشيل فوكو فناً یرتبط بنمط الإصابة الجسدية، وبكمية وزخم الأوجاع إضافة لنوعية الجريمة وخطورتها، وشخصية المجرم ونوعية رتبة ضحاياه وموقعهم من السلطة،<sup>(46)</sup> كما یعتبر التعذيب تكنولوجيا تهدف السلطة من وراء استخدامها إلى ترويض الجسد البشري واستثماره وإخضاعه واستعباده.<sup>(47)</sup>

وقد اتخذ العنف الذي مارسته الدولة الأموية عدة أنواع وأشكال، فمن الضرب الخفيف إلى الضرب حتى الموت إلى تقطيع أطراف الجسد إلى السحل وسمل العيون وصم الأذان وجذع الأنوف وجبّ المذاكير، أي الأعضاء التناسلية للرجل، والحرق والقتل والتمثيل بالجثة... الخ، وعادة ما تمارس عملية التعذيب والتنكيل علناً وتتنوع فضاءات "المشهد العقابي"<sup>(48)</sup> حسب الظروف السياسية العامة أو حسب الأهمية التي یمثلها الضحية المستهدف، فمن مكان ضيق كصحن من صحن قصر الخليفة إلى السجن أو الشارع... الخ.

### الضرب والجلد:

یمثل أدنى وأخف أشكال العنف المادي الذي یتعرض له جسد الإنسان، ویكون عادة بالجلد، والهدف منه الترهيب والتخويف الخفيف، ولكن قد یتحول إلى ضرب مبرح یودي بحياة المستهدف، أما الأداة المستعملة في ذلك فهي عادة عصا خشبية غليظة أو العمود الحديدي، مثل المشقص؛ وهو نصل عريض، أو الجزر؛ وهو عمود حديدي، أو المضرس؛ وهي آلة ثقيلة تكسر الحجارة عادة.<sup>(49)</sup> ومن ذلك ما أمر به عبد الملك بن مروان عامه على المدينة هشام بن إسماعيل عندما استشاره بما یفعل بسعيد بن المسيّب الذي رفض البيعة للوليد وسليمان فأجابته: "ما حاجتك أن تكشف عن سعيد، أو تأخذه ببيعة، ما كنا نخاف من سعيد؟ فأما أن تظهر ذلك

<sup>46</sup>- فوكو (ميشيل): المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، ترجمة د.علي مقلد ومراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت 1990، ص 71

<sup>47</sup>- اوبير (دريفوس) و بول (رابينوف): ميشيل فوكو، مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح منشورات مركز الإنماء العربي، بيروت لبنان، ص 104

<sup>48</sup>- استعمل ميشيل فوكو هذا المصطلح بكثافة في كتابه "المراقبة والمعاقبة"، الذي يعني علنية ممارسة العنف والتعذيب الذي تمارسه السلطة بهدف تخويف الناس

<sup>49</sup>- قمنا بتحديد هذه الأدوات المستعملة من خلال ما رواه الطبري في كتابه من أحداث ذات علاقة بالدولة الأموية ورجالها...

وانشر أمره في الناس فادعه إلى البيعة فإن أبي فاجلده مئة سوط أو احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابًا من شعر وأوقفه في السوق على الناس لكي ما لا يجترئ علينا أحد غيره"<sup>(50)</sup>. ومن ذلك ما تعرض له عثمان بن حنيف عامل علي بالبصرة إذ أمر طلحة بن الزبير ومروان بن الحكم والسيدة عائشة بقتله، فناشدهم الله فأشير بضربه بالسوط فضربوه وفتقوا لحيته ورأسه حتى حاجبيه وأشفار عينيه ثم حبسوه"<sup>(51)</sup>. كما أمر زياد شرطته بضرب أحد الخوارج وهو "صيفي بن فسيل" فضربوه حتى لزم الأرض ثم أمر أن يدفعوا في رقبتة حديدًا وأن يلقيه في السجن<sup>(52)</sup>، وأثناء التحقيق مع المختار بن عبيد وضع عبيد الله بن زياد القضيب على وجهه " فخبط به عينيه فشترها وأمر به ووضع بالسجن"<sup>(53)</sup>.

ومن الأدوات التي استعملت للضرب نذكر العكاز، من ذلك أن عبيد بن أبي زياد قد هجم على أحد الأفراد المتهمين بإيواء معارض كان يريد قتله بعكازه فضرب به وجهه" فندر فارتز في الجدار ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه"<sup>(54)</sup>. وقد يؤدي الضرب المبرح المسلط على الضحية إلى الموت، ومن ذلك أن زياد قد ضمن مال ودم عمير بن زياد، أحد الخوارج، وهو جريح إلا أنه أمر به فأوقر حديدًا، ثم أخذته الرجال ترفعه حتى إذا بلغ سورها القوه فوقع على الأرض، وفعلوا به ذلك مرات حتى قضى أمره"<sup>(55)</sup>. ولم يسلم من رجال السلطة الأموية حتى الشعراء إذ اتهم الشاعر يزيد بن مفرع الحميري بهجاء زياد وبني زياد وآل سفيان، فقام عبيد الله بن زياد بتعذيبه " فسقاه نبيذًا حلواً خلط معه التبرذ، وهو راسب زئبقي أصفر، فأسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال، ثم قرن بهـرة وخنزيرة فجعل يسلم والصبيان يتبعونه ويصيحون، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فأمر عبيد الله بغسله فلما اغتسل قال:

يغسل الماء ماء فعلت وقولي راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله إلى السجن<sup>(56)</sup>.

### تقطيع أطراف الجسد:

وهي الممارسة التي تمثل ذروة إيذاء الضحية وتسبب للمستهدف أوجاع وآلام، وقد تؤدي أيضًا إلى تشويه أو إعاقة أحد أجزاء الجسد أو إلى الموت أيضًا. ويحفل تاريخ دولة الخلافة بنماذج لا تعد ولا تحصى من هذه

<sup>50</sup>- ابن قتيبة: الإمامة، المصدر سبق ذكره، ج 2، ص 4، أيضا: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 377

<sup>51</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، المصدر نفسه، ج 3، ص 18

<sup>52</sup>- الطبري، تاريخ...مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 198

<sup>53</sup>- المصدر نفسه، ج 4، ص 442

<sup>54</sup>- المصدر نفسه، ص 296

<sup>55</sup>- المصدر نفسه، ص 196

<sup>56</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سبق ذكره، ج 6، ص 349-350

الممارسة، من ذلك أن عبید الله بن زياد قد استفرد بعروة بن أديّة وهو أحد معارضي السلطة فـ"أمر بقطع يديه ورجليه ثم سأله كيف ترى نفسك قال: أرى أنك أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها"<sup>(57)</sup>.

### القتل والاعتقال:

وهي العملية الأخيرة التي تلجأ إليها السلطة للتخلص من معارضيها وتصفيتهم جسدياً. وتختلف عمليات القتل بحسب الظروف وأهمية الضحية. ويمكن أن يكون القتل فردياً أو جماعياً وما يهمننا هنا هو القتل الذي تأمر بتنفيذه السلطة على كائن أعزل وغير قادر على الدفاع عن نفسه، وهي العملية الأكثر تواتراً وأقل كلفة وأقل ضجيجاً بالنسبة إلى السلطة، وكان معاوية بن أبي سفيان يستخدم الاعتقال كأفضل وسيلة للتخلص من معارضيها، فهو القائل "إن لله جنوداً منها العسل"<sup>(58)</sup> وهو الذي دس السم للحسن بن علي ولسعد بن أبي وقاص فماتا، ووضع في آنية الأكل التي قدمها إلى خالد بن الوليد فمات مباشرة<sup>(59)</sup>.

### القتل الجماعي:

تواتر هذا النوع من العقوبة زمن حكم الأمويين وكان موجهاً ضد معارضيهم من الشيعة والخوارج الذين كانوا يخرجون إلى القتال برفقة نسائهم، فكان لا يتردد زياد بن أبيه في قتلهم جميعاً ومن أمثلة ذلك أيضاً أن بشر بن أبي أرطاة قد أقام بالمدينة شهراً يستعرض الناس ويقتل كل من يقال إنه أعان علياً على عثمان، فوجد قوماً من بني كعب وغلماهم على بئر لهم فألقاهم جميعاً في البئر.<sup>(60)</sup>

### دفن الضحية حياً:

أرسل معاوية بن أبي سفيان عبد الرحمن بن حسان العنزي إلى زياد، وأمر بتعذيبه ثم قتله شرّاً قتلة، فلما وصل أمر زياد بدفنه حياً<sup>(61)</sup>، وهو الأمر نفسه الذي تعرض له خالد بن عبد الله القسري أمير العراق زمن هشام بن عبد الملك، إذ قام يوسف بن عمر الثقفي، ابن عم الحجاج، بحبس خالد وعماله "وحاسبه وعذبه، فوضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفتا، ثم رفع الخشبتين إلى ساقه وعصرهما حتى انقصفا ثم إلى وركيه ثم إلى صلبه فلما انقصف صلبه مات... وكان ذلك في المحرم سنة ست وعشرين.<sup>(62)</sup>

<sup>57</sup>- الطبري، تاريخ... مصدر سبق ذكره، ج4، ص 232

<sup>58</sup>- ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية - القاهرة 1930، ج1، ص 201

<sup>59</sup>- الطبري، تاريخ... مصدر سبق ذكره، ج4، ص 232

<sup>60</sup>- المصدر نفسه، ج4، ص 134

<sup>61</sup>- المصدر نفسه، ج4، ص 206

<sup>62</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 229

## التمثيل بالجثة:

لا يكتفي رموز السلطة بتعذيب ضحيتهم حتى الموت بل يقدم بعضهم إلى إحداث تشويهات على الجثة والعبث بها، ويحتل رأس الضحية أهمية قصوى من اهتمام السلطة،<sup>(63)</sup> وتحرص السلطة على فصله عن الجسد كحجة مادية لانتهاء صاحبه، وهو ما قد يدخل الاطمئنان عليها، وتقوم بحز الشعر، وأحياناً تقوم بحرق الجسد. ومن أشكال التمثيل بالجثة أيضاً أن تقوم السلطة بنصب الجسد أي تعليقه، وهدفها تخويف الناس وإبراز قوتها. كما قد تقوم بصلب الجثة، بهدف تحقير وتبخيس المصلوب وكذلك أهله وجماعته، ومن أمثلة ذلك أن يزيد بن خال القسري، وبعد أن قتل يوسف بن عمر الثقفي، وهو في العقد السادس من عمره، قطع رأسه عن جسده وشد في رجليه حبلاً وجعل الصبيان يجرونه في شوارع دمشق<sup>(64)</sup>. وأن معاوية بن حديج قتل محمد بن أبي بكر ثم ألقاه في جيفة حمار واحرقه بالنار<sup>(65)</sup>. أما هشام بن عبد الملك وبعد أن فصل رأس زيد بن علي صلب جسده ونصب رأسه وأمر حراسه بحراسته لئلا يُنزل، ومكث هكذا لزمان غير معلوم. ويقول الطبري في روايته إنه "مكث مصلوباً حتى مات هشام، ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق"<sup>(66)</sup>. وإذا عرفنا أن زياداً قد مات سنة 122 هـ، وأن الوليد قد تولى الخلافة سنة 125 هـ فإن ذلك يعني أن جسد زيد قد ظل مصلوباً لمدة ثلاث سنوات. ولما قتل الحسين بن علي جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره، وهم حوالي سبعين، إلى عبيد الله بن زياد، وقام هذا الأخير بإرسالها إلى الخليفة يزيد، أما رأس ابن الزبير فحمل إلى عبد الملك الذي أمر ببعثه إلى النواحي، أما جسده فأمر الحجاج بصلبه.<sup>(67)</sup>

## 2- الإجراءات الاحترازية:

### إعلان حالة الطوارئ:

تبدو من الإجراءات النادرة وغير المعروفة، ويظهر أن الحجاج قد مارس إجراءً شبيهاً بذلك، فعند حلوله بالكوفة، وبعد إلقاء خطبته المشهورة وأخذ السكان بالتهديد والوعيد، أعلن ما يشبه حالة الطوارئ في البلاد ليتمكن من القضاء على الفتن.<sup>(68)</sup>

<sup>63</sup>- الرأس: لغة يعني الكبير والسيد والزعيم والقائد

<sup>64</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سبق ذكره، ج 7، ص ص 111- 112

<sup>65</sup>- الطبري، تاريخ... مصدر سبق ذكره، ج4، ص 166

<sup>66</sup>- المصدر نفسه، ج5، ص 505

<sup>67</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 74

<sup>68</sup>- معروف(نايف محمود): الخوارج في العصر الأموي، نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم. - دار الطليعة بيروت 1977، ص 156

### منع التجول ليلاً:

وكان زياد أول من أصدر أمراً بمنع التجوال ليلاً " فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فأنا ضامن لما ذهب له إياي ودلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه"<sup>(69)</sup>. وسهر على تطبيق ذلك الإجراء عبد الله بن حفص قائد شرطة معاوية، ومما يحكى عنه أنه وجد أعرابياً قادمًا من توه إلى المدينة، ولا علم له بالأمر، ورغم اقتناع قائد الشرطة بكلام الأعرابي غير أنه لم يتردد في قتله.<sup>(70)</sup> كما يعتبر زياد ابن أبيه أول من أخذ بالظنة، وعاقب الناس على الشبهة.<sup>(71)</sup>

### الإقامة الجبرية:

سير زياد ابن أبيه الحطيم الباهلي، وفرض عليه الإقامة الجبرية في إحدى بيوتات أقاربه، ولما ترك الإقامة تلك جيء به إليه فقتله وألقى بجثته في عشيرته.<sup>(72)</sup>

### الإبعاد أو النفي:

مارس الحكام المسلمون هذه العقوبة ضد المسلمين والعرب، دون أهل الذمة، من ذلك ما قام به عثمان بن عفان من إبعاد معارضييه إلى الشام، وما تعرض له الشيعة والخوارج على يد الخلفاء الأمويين<sup>(73)</sup>. ثم ما مارسه العباسيون ضد أفراد تلك العائلة، وقد اکتوى بنار تلك العقوبة أيضاً بعض المفكرين العرب المسلمين الذين وقفوا موقفاً معارضاً للسلطة أو الذين جاهاوا بأراء دينية وفكرية لم يستسغ مضمونها الحكام، يظهر أن زياد ابن أبيه كان من الأوائل الذين استخدموا الإبعاد في الدولة الأموية حيث يشير الطبري إلى أنه سير الخطيم الباهلي، أحد القادة الخوارج، إلى البحرين وفرض عليه الإقامة الجبرية في إحدى بيوتات أقاربه، ولما ترك الإقامة تلك جيء به إليه فقتله وألقى بجثته إلى عشيرته.<sup>(74)</sup>

<sup>69</sup>- الطبري: تاريخ... المصدر نفسه، ج4، ص 166

<sup>70</sup>- المصدر نفسه، ج4، ص 167

<sup>71</sup>- المصدر نفسه ونفس الصفحة

<sup>72</sup>- المصدر نفسه، ج4، ص172

<sup>73</sup>- سرور(جمال الدين): الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية. خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي. القاهرة. ط 5، سنة 1975، ص 116، ص 268

<sup>74</sup>- الطبري، تاريخ... مصدر سبق ذكره، ج4، ص 172

### 3- الحجاج بن يوسف؛ رجل السلطة المريض:

لم نتحدث عن الحجاج بن يوسف من البداية قصدًا لنؤكد أن العنف السياسي لم يكن ممارسة أو سلوكًا شاذًا لبعض رموز السلطة الأموية تكفل بممارسته الحجاج، بل نعتقد أن لكل خليفة "حجاجة الصغير"، وما الحجاج بن يوسف إلا أنموذجًا لممارسة العنف السياسي في مختلف أشكاله وبجده الأقصى.

كثيرة هي الممارسات العنيفة التي تُنسب إلى الحجاج، وليس من السهل تصديقها، فأعداؤه كثر إن على الصعيد السياسي أو المذهبي أو الشخصي، لذلك اعتمدنا على الروايات الأكثر تطابقًا والأكثر تواترًا عند المؤرخين. فقد كان الحجاج رمزًا للشدة والقسوة والبطش وممارسة أقصى أنواع العنف ضد معارضي السلطة. كما يمثل سلوكه مثالاً لممارسة السادية غير الجنسية التي تعني إنزال العذاب والأذى بالضحية التي تكون عادة غير قادرة على الدفاع عن نفسها، وعادة لا يتحسس السادي وجوده إلا من خلال تبخيس ضحيته والتمثيل بها.<sup>(75)</sup>

عمل الحجاج في بداية حياته في شرطة زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ثم تقلد أمر الإشراف على العسكر لما لاحظ زنباع عنه من انضباط وبأس، فأحكم سيطرته على كامل الجهاز<sup>(76)</sup>. ورفض العسكر الخاص بروح زنباع اللحاق بالخليفة عند خروجه كالعادة، فأمر بجلد كل واحد منهم بالسياط وطوفهم في المعسكر وحرق فساطيط، أي خيم، روح بن زنباع، فاشتكى هذا الأخير للخليفة الذي أمر بإحضاره فدار بينهما الحوار التالي:

- الخليفة: ما حملك على ما فعلت؟

- الحجاج: أنا ما فعلت.

- الخليفة: ومن فعل؟

- الحجاج: أنت فعلت، إنما يدي يدك، وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين إلا أن يخلف لروح بن زنباع، عوض الفسطاط فسطاطين، وعوض الغلام غلامين، ولا يكسر فيما قدمني له.."<sup>(77)</sup>

تلك كانت فلسفة الحجاج في خدمة السلطة والحفاظ على مصالحها وهيبتها. واستوعب عبد الملك بن مروان هذا الدرس واستخدم الحجاج للقيام بالمهام الصعبة والقدرة. ولا يتردد الحجاج في القول إن أكبر لذاته

<sup>75</sup>- اريك فروم: "العدوانية المؤذية والعدوانية غير المؤذية"، الفكر العربي المعاصر، عدد 27-28، ص 110

<sup>76</sup>- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سبق ذكره، ص 30

<sup>77</sup>- المصدر نفسه، ص ص 30-31









MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط – المملكة المغربية  
ص.ب : 10569  
هاتف: 00212537779954  
فاكس: 00212537778827  
info@mominoun.com  
www.mominoun.com